أسماء الله الحسنى

الْوَاسِعُ جل جلاله

اللقاء الثالث والثلاثون

يقول ابن القيم رحمه الله: "إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى حَدٍّ كَأَنَّهُ يُطَالِعُ مَا اتَّصَفَ بِهِ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، وَأَحَسَّتْ رُوحُهُ بِالْقُرْبِ الْخَاصِّ الَّذِي لَيْسَ هُوَ كَقُرْبِ الْمَحْسُوسِ مِنَ الْمَحْسُوسِ، حَتَّى يُشَاهِدَ رَفْعَ الْحِجَابِ بَيْنَ رُوحِهِ وَقَلْبِهِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَإِنَّ حِجَابَهُ هُوَ نَفْسُهُ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْحِجَابَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَفْضَى الْقَلْبُ وَالرُّوحُ حِينَئِذٍ إِلَى الرَّبِّ، فَصَارَ يَعْبُدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ".

سبحان ربي الغني المغني، سبحان ربي (الواسع) العليم، سبحان ربي ذي الجلال والإكرام، مالك الملك، عظيم الجاه واسع السلطان، تبارك اسمُه وتعالى جَدُّه ولا إله غيره، وسِع كرسيُّه السماوات والأرض، لا يحيط بعلمه ولا بذاته ولا بملكه أحدٌ من خلقه، وقد أحاط هو بكل شيء علمًا، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، يعطي من يشاء فيغنيه، ويُعَلِّم من يشاء فيصير فقيهًا حكيمًا، سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فإذا كان بعض خلقه - بفضله سبحانه - يُوصَف بأنه عريض الثراء، عظيم الجاه، وواسع العلم والمعرفة، فكيف بملكه وجاهه وعزه وسلطانه وعلمه وغناه؟ لذلك نجد هذا الاسم الجليل يعبر عن كمال صفاته وأفعاله وتمامها، فلا تخلو صفة من صفاته، ولا فعل من أفعاله من أن تضاف إلى هذا الاسم الجليل للتعبير عن هذا الكمال، فنقول: واسع المغفرة، واسع العلم، واسع الكرم، وهكذا...

أولاً: المعنى اللغوي

الواسع: في اللغة على وزن فاعل، فعله وَسِعَ، يَسَعُ، سَعَةً، فهو واسع، وتطلق السعة على الكثرة في الشيء فيقال: لكثير العلم واسع العلم، والسعة ضد الضيق فيقال إناء واسع، وبيت واسع، ورجل موسع يعني كثير الغنى، كقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) [الطلاق:7] وأوسع الله عليك أي أغناك.

والواسع مشتق من السعة، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيفما قُدِّر وعلى أي شيء نزل، فالواسع باللفظ المطلق هو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه إن نُظِرَ إلى علمه فلا يمكن تصوره، وتنفد البحار لو كانت مدادًا لكلماته، وإن نُظِرَ إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته، فهو واسع في علمه فلا يَجهَل، وواسع في قدرته فلا يَعجَل، لا حدود لغناه، ولا تُعَدُّ عطاياه، إفضاله شامل، ونَواله كامل، وهو واسع الصفات والنعوت، واسع العظمة والسلطان والملكوت، وواسع الفضل والإحسان والجود، ما وصف نفسه بهذا الوصف إلا ليُكثِر العباد من سؤاله، ويطلبوا الغِنى والقوة منه وحده دون سواه.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ

إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيْمُ الوَاسِعُ

المعنى في حق الله تعالى:

يقول الطبري -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة: 115] أي: "يسع خلقه كلهم بالكفاية والاتصال والجود والتدبير".

ويقول الخطابي -رحمه الله-: "الواسع: هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه.

والسعة في كلام العرب: الغنى، ويقال: الله يعطي عن سعة أي عن غنى".

وقال الشّيخ السّعدي -رحمه الله-: "الواسع الصّفات والنّعوت، ومتعلّقاتها، حيث لا يُحصي أحدٌ ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسّلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم".

إذن فاسم الله (الواسع) يشمل جميع الصفات والنعوت، فهو الواسع في علمه، وهو الواسع في غناه، وهو الواسع في فضله وإنعامه وجوده، وهو الواسع في قوته وعظمته وجبروته، وهو الواسع في قدرته، الواسع في حكمته، وهو الواسع في مغفرته ورحمته.

وروده في القرآن الكريم:

وقد ورد اسمه تعالى (الواسع) في القرآن الكريم تسع مرات، اقترن في سبع منها باسمه تعالى العليم، ولعل في هذا ما يشير إلى أن الله سبحانه يعطي من فضله الواسع من يشاء عن كمال العلم بمن يستحق هذا العطاء، سواء أكان هذا العطاء رحمة، أو مغفرة، أو مُلكًا، أو مالًا، أو علمًا، أو أي نوع من أنواع العطاء، وعطاؤه سبحانه - فضلًا عن كونه عن كمال العلم - فهو مع كمال الحكمة، وسعة المغفرة، وفي هذا نجد أن اسمه (الواسع) سبحانه جاء مضافًا إلى المغفرة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: 32]، وجاء مقترنًا باسمه الحكيم مرة واحدة كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 130]؛ [انظر: مفهوم الأسماء والصفات لسعد بن عبدالرحمن ندا].

إذن مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الَّتِي أَثْنَى اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِهَا اسْمُهُ؛ "الْوَاسِعُ"؛ فَرَبُّنَا هُوَ الْوَاسِعُ الْغَنِيُّ -عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي وَسِعَ غِنَاهُ جَمِيعَ عِبَادِهِ، وَسِعَ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ وَالْأَفْضَالِ وَالْجُودِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَهُوَ الْوَاسِعُ الْمُطْلَقُ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَالْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَلَا يُحْصِي أَحَدٌ ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، فَمَهْمَا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ مِنْ خَلْقِهِ فَلَنْ يَبْلُغُوا كُنْهَهُ، وَلَنْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَرَبُّنَا وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)[الْأَعْرَافِ: 89]، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ؛ فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَسْمَعُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

طائرة تقلع من ماليزيا وعلى متنها أكثر من مائتين وثلاثين نفسًا بشرية، وبعد فترة من إقلاعها تُفقد الطائرة، بركابها، تهرع فرق البحث لإيجاد تلك الطائرة ولكن لا جدوى، تتسارع الدول للمشاركة في البحث عن هذه الطائرة حتى زاد عدد الدول المشاركة في عملية البحث عن

خمس وعشرين دولة، استخدموا الطائرات والأقمار الصناعية والمكبرات وجميع الأجهزة الحديثة في البحث عن أثر ولو بسيط لتلك الطائرة العملاقة، لكن رجعوا بخفي حنين.

هذا علم البشر، ضعيف، قليل، قاصر، مهما تطورت التقنيات، ومهما تباهى الإنسان بقدرته على كل شيء، وبعلمه بكل شيء، لكن كل هذا العلم لا يساوي شيئًا أمام علم الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[الإسراء:85].

رأى موسى -عليه السلام- لما كان مع الخضر طائرًا ينقر في البحر ليأخذ من مائه، فقال الخضر: "يا موسى: إن معك علمًا لم يعلمنيه الله تعالى، ومعي علم لم يعلمكه الله -عز وجل-، يا موسى: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر".

وَعِلْمُهُ يَشْمَلُ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ، وَمَا تُضْمِرُهُ الصُّدُورُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)[غَافِرٍ: 19]، (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[الْبَقَرَةِ: 235].

اعلموا أن الله تعالى يعلم ما يجول في نفوسكم من خير أو شر، وما تهجس به خطرات قلوبكم من مقاصد واتجاهات، فاحذروا أن تقصدوا ما هو شر، أو تفعلوا ما هو منكر.

وقد ذم الله هؤلاء الذين يعلمون أن الله واسع العلم لا يخفى عليه خافية ثم لا ينتهوا عما هم فيه: قال تعالى :(يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) [النساء 108].

قال السعدي: وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم.

لقد وعظ لقمان ابنه موعظة بليغة، بكلمات جامعة، وأسلوب بديع، مبينا له سَعة علم الله وإحاطته بجميع الأشياء صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها. قال -تعالى- حكاية عنه في وعظه ابنه: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)[لقمان:16]؛ بينت الآية الكريمة أن الله مُطّلعٌ على دقائق الأمور كلها لا تخفى عليه خافية، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلو أنَّ الحسنات والسيئات، ولو أن الأعمال والخطرات، ولو أن جميع الكائنات والمخلوقات كانت مثل حبة خردل متناهية في الصغر، وكانت في بطن صخرة صماء، أو كانت في أطراف الأرض أو في أرجاء السماء، لعلم -سبحانه- مكانها وأتى بها؛ فهو لَطِيف بِاسْتِخْرَاجِهَا خَبِير بِمُسْتَقَرّهَا، سبحانه! أحاط علمه بكل شيء.

قال أحد الصالحين: "إذا جلست للناس فكن واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله رقيب على باطنك".

قال ابن رجب -رحمه الله-: "أكره رجل امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، فقال لها: هل بقي باب لم يغلق؟! قالت: نعم؛ الباب الذي بيننا وبين الله! فلم يتعرض لها".

لو علم أحدنا أن شخصًا ممن يحبه ويجلّه ويقدّره يراه على تلك المعصية لم يتجرأ على ارتكابها، بل حتى لو علم أن طفلاً يشاهده ما تجرّأ على ذلك، فكيف بواسع العلم -تبارك وتعالى- الذي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ؟!

وقال في بيان سعته -سبحانه- بمعنى إحاطته بالكون: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة:115]، قالت عائشة -رضي الله عنها-: الحمدُ للهِ الذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ، لقَد جاءتِ المُجادلةُ إلى رسولِ اللهِ -ﷺ-، تُكَلِّمُه في جانبِ البيتِ ما أسمعُ ما تَقولُ فأنزلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) إلى آخر الآية.. (رواه البخاري)

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ *** كَرِيمٌ رَحِيمٌ يُرْتَجَى وَيُؤَمَّلُ

إِذَا سُئِلَ الْخَيْرَاتِ أَعْطَى جَزِيلَهَا *** وَيَرْفَعُ مَكْرُوهَ الْبَلَا وَيُزَوِّلُ

يَسِحُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ سَحًّا عَلَى الْوَرَى *** فَيُغْنِي وَيُقْنِي دَائِمًا وَيُحَوِّلُ

إِذَا أَكْثَرَ الْمُثْنِي عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا *** فَذُو الْعَرْشِ أَعْلَى فِي الْجَلَالِ وَأَجْمَلُ

وَمَنْ فَهِمَ اسْمَ اللَّهِ: "الْوَاسِعِ" ذَهَبَ خَوْفُهُ، وَحَلَّتِ الطَّمَأْنِينَةُ فِي قَلْبِهِ، وَفُتِحَ لَهُ بَابُ الْأَمَلِ.

فَذَاكَ الْمُزَارِعُ الَّذِي تَأَخَّرَ عَلَيْهِ وَقْتُ الْحَصَادِ، وَشَحَّ الْمَاءُ، وَتَعَاظَمَتْ حَاجَتُهُ لِلثَّمَرِ؛ لَـمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ؛ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَنَادَى: يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ.. يَا اللَّهُ.. يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ.. يَا وَاسِعَ الْجُودِ! جُدْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكِ وَخَيْرَاتِكَ.

وَذَاكَ الْعَقِيمُ رَضَّتْهُ الْأَيَّامُ، وَأَتْعَبَتْهُ الْآلَامُ، وَاشْتَاقَ إِلَى طِفْلٍ يُلَاعِبُهُ وَيَمْلَأُ حَيَاتَهُ، وَتَأَخَّرَ الْحَمْلُ أَوْ فُجِعَ بِقَوْلِ الْبَشَرِ: عَقِيمٌ، وَبَيْنَمَا يَحْدُثُ ذَلِكَ وَالْحُزْنُ يَعُمُّ؛ تَسْتَيْقِظُ فِي دَاخِلِهِ حَيَاةٌ أُخْرَى بِتَذَكُّرِهِ بِأَنَّ اللَّهَ الْوَاسِعَ الْكَرِيمَ الْجَوَادَ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا مُوقِنًا بِالْإِجَابَةِ؛ فَيُنَادِي: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)[آل عِمْرَانَ: 38]، (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[الْأَنْبِيَاءِ: 89-90].

وَكَذَا الْمَرِيضُ آهَاتُهُ يَسْمَعُهَا اللَّهُ، وَآلَامُهُ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، فَإِذَا تَذَكَّرَ وَاسِعَ الْعَطَاءِ، وَهُوَ الشَّافِي وَالْكَافِي لِعِبَادِهِ نَادَى: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[الْأَنْبِيَاءِ: 83].

فَيَكْشِفُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْهَمَّ، وَيُزِيلُ الْغَمَّ، وَيَدُبُّ الشِّفَاءُ.. إِنَّهُ اللَّهُ الْوَاسِعُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

يجبر بلطفه كسرك، ويغني بفضله فقرك، ويقضي بكرمه حاجتك، ويستر برأفته سوءتك، ويهزم بقوته عدوك، ويغفر برحمته وزرك، ويهدي بجوده خطوتك ... فسبحانه من إله!

تَتَزَاحَمُ الْهُمُومُ فِي قَلْبِ الْمَدِينِ حَتَّى مَا يَظُنُّ أَنَّ لَهَا كَاشِفَةً، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى قَلْبِهِ، وَيُلْجِئُهُ إِلَيْهِ، وَهُنَا يَلُوذُ بِجَنَابِ وَاسِعِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ؛ فَيُنَادِي: يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ، يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ:(أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)[النَّمْلِ: 62] فَيَقْضِي اللَّهُ الدَّيْنَ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَتَظْهَرُ الِابْتِسَامَةُ، وَيَهْدَأُ الْقَلْبُ، وَتَسْكُنُ النَّفْسُ؛ (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ)[الْأَنْعَامِ: 64].

تَحِلُّ الْمُعْضِلَةُ بِالْعَالِمِ، وَتُشْكِلُ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ؛ فَيَتِيهُ عَنِ الصَّوَابِ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ الْجَوَابُ، وَهُنَا يُمَرِّغُ أَنْفَهُ فِي التُّرَابِ مُنَادِيًا وَمُسْتَجْدِيًا: يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ.. يَا وَاسِعَ الْعِلْمِ.. يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي.. يَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهِّمْنِي. فَيَأْتِي التَّوْفِيقُ، وَتُحَلُّ الْمَغَالِيقُ مِنَ الْوَاسِعِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

📝يَخْتَلِفُ الزَّوْجَانِ، وَيَنْقَطِعُ الْحَبْلُ، وَتَنْقَطِعُ أَوَاصِرُ الْمَحَبَّةِ، وَتَضِيقُ بِهِمَا الْحَالُ بَعْدَ الطَّلَاقِ؛ فَيَلْجَآنِ إِلَى اللَّهِ الْوَاسِعِ، فَيُبْدِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَيْرًا مِنَ الْآخَرِ؛ (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا)[النِّسَاءِ: 130].

📂 حُسْنُ ظنِّك بالله، مُداومتك على الدعاء، التلذُّذ بمُناجاة الله، عدم اليأس من رحمة الله، كتمان مُصائبك وأحزانك، عدم الشكوى إلى الناس، استشعار القُرْب مِنَ الله، دمعة العين بين يدي الله، الافتقار والانكسار لله، والإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله، ستكوني بعدها أسعد الناس بالله.

📝يَخْشَى الْمَرْءُ مِنَ الْإِنْفَاقِ، وَيَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ وَسْوَسَ فِي صَدْرِهِ بِالشَّرِّ وَالْفَقْرِ، وَدَعَاهُ إِلَى الْبُخْلِ وَعَدَمِ الْإِنْفَاقِ؛ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[الْبَقَرَةِ: 268].

📝فَيَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ الْوَاسِعَ الْكَرِيمَ قَدْ وَعَدَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِقَوْلِهِ: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[الْبَقَرَةِ: 245].

📝وَيَتَذَكَّرَ قَوْلَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[آلِ عِمْرَانَ: 73]؛ فَيُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ، مُقْرِضًا رَبَّهُ، مُتَيَقِّنًا بِالْخَلَفِ مِنَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي الدَّارَيْنِ، فَإِذَا بِالْبَرَكَاتِ وَالرَّحَمَاتِ تَتَنَزَّلُ، وَتَعْظُمُ الْمِنَّةُ مِنَ اللَّهِ الْوَاسِعِ صَاحِبِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ.

✉ولا شك أن إدراك العبد لمعنى هذا الاسم الجليل بصورة صحيحة، والعيش في ظلاله والتخلق به، يحبب إليه البذل والعطاء والكرم ونبذ البخل والشح؛ لأن الله تعالى (الواسع) كثير العطاء، سيخلفه فيما ينفق وسيعوضه ويزيده من فضله وكرمه، فخزائنه لا تنفد، وجوده لا ينقطع، وعطاياه لا تتوقف؛ فهو القائل: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: 7]، فكل نعمة تزيد بالشكر والثناء والرضا عن الله، وهو القائل جَلَّ وعلا: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 261]، ويلاحظ أن الآية الكريمة قد جمعت بين اسمه تعالى (الواسع) واسمه تعالى (العليم)؛ وذلك لإبراز كرم الله ومضاعفته التي لا حدود لهما، فإنه واسع العطاء واسع الغِنى واسع الفضل، على أن سعة عطائه لا تقتضي أن يحصل عليها كلُّ مُنْفِق، فهو وحده الذي يعلم من تصلح له هذه المضاعفة، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله لا يناقض حكمته، بل يضع فضله في موضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه.

📂ويُرْوَى أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما؛ ذلك أن رسول الله -ﷺ- حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، حَثَّ الناس على الإنفاق في سبيل الله، وكان الجيش يومئذٍ بحاجة إلى الجهاز، فجاءه عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف، وقال عثمان بن عفان: "عليَّ جهاز من لا جهاز له"، فجهَّز الجيش بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وقيل: إنه جاء بألف دينار ذهبًا، فصبَّها في حجر رسول الله -ﷺ- ، فجعل رسول الله -ﷺ- يقلِّبُها في حجره ويقول: ((ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم))؛[انظر: أسباب النزول للواحدي]، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يتسابقون في البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله؛ لإيمانهم بأن الله تعالى خزائنه لا تنفد، وعطاؤه لا ينقطع، وليس المال ولا الجاه هو أعظم ما يُعطى ويُمنح، ولكن الإيمان والسكينة والرضا والثبات على الحق، بل إن ما يزويه ويمنعه عن عباده هو عين الإحسان والفضل والكرم، فمكانة المرء وقربه من ربه تكون على قدر بعده عن الدنيا وشواغلها.

يَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُ عَظِيمَ ذَنْبِهِ، وَكَثْرَةَ خَطَئِهِ؛ فَتَهِيجُ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ، وَيَشْتَعِلُ فُؤَادُهُ، وَتَسِيلُ عَيْنَاهُ مِنَ الدَّمْعِ خَوْفًا مِنَ الْجَبَّارِ؛ فَيَتَذَكَّرُ وقال -تعالى- في سعة رحمته: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)[الأعراف:156]، وقال -تعالى-: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)[النّجم:32].

وَرَبُّنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ؛ يَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ مَهْمَا بَلَغَتْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ؛ (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)[النَّجْمِ: 32].

وَهُنَا يُعْلِنُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، رَاجِيًا الدُّخُولَ فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)[الْفُرْقَانِ: 70]، مُسْتَشْعِرًا دُعَاءَ الْمَلَائِكَةِ؛ (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[غَافِرٍ: 7]؛ فَتَغْسِلُ التَّوْبَةُ حُرْقَةَ فُؤَادِهِ، وَلَوْعَةَ نَفْسِهِ، وَيَجْعَلُهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مِنَ التَّوَّابِينَ وَمِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيْهِ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْمَمَاتِ، ثُمَّ الْمَآلُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ثُمَّ يَسْمَعُ: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ)[ص: 54].

فالمؤمن تطيب نفسه وتهدأ روحه، حين يقف على حقيقة معنى اسمه تعالى الواسع، فقد وسِعَ العصاة بتوبته، ووسِعَ المذنبين بعفوه ورحمته، إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ، والصالحين، والمستغفرين، والتائبين.

وأكثر الناس إدراكًا لهذه الحقيقة هم المؤمنون به حقًّا وصدقًا؛ ولذلك لا يصيبهم اليأس ولا يقنطون من رحمة الله أبدا، وكيف ييأسون وربهم واسع المغفرة؟ وهو القائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، فهم لا يقنطون ولا يُقَنِّطُون الناس من رحمة الله تعالى، بل يدعون دومًا للناس بالخير والهداية، كما أمرهم ربهم الغفور الرحيم واسع العفو عظيم المغفرة.

عَن أبي طويلٍ شَطَبِ المَمدودِ رضيَ اللَّهُ تعالى عنهُ أنَّهُ أتى النَّبيَّ -ﷺ- فقالَ: "أرأيتَ رجلًا عملَ الذُّنوبَ كلَّها فلم يترُكْ منها شيئًا وَهوَ مع ذلِكَ لم يترُكْ حاجَّةً ولا داجَّةً إلَّا أتاها فَهَل لذلِكَ من توبةٍ قالَ أليسَ قد أسلَمتَ قالَ أمَّا أنا فأشهَدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ قالَ نعَم تَفعلُ الخيراتِ وتترُكَ السَّيِّئاتِ فيَّجعلُهنَّ اللَّهُ لَكَ حسَناتٍ كُلَّهُنَّ قالَ وغدَراتي وفجَراتي قالَ نعَم قالَ اللَّهُ أكبرُ فما زالَ يُكَبِّرُ حتَّى توارَى". السلسلة الصحيحة

قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى "يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً". صحيح الترمذي

❁فمهما كثرت الذنوب، وعظمت الخطيئات، فلن نعدم مغفرة من واسع المغفرة، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

رَبُّنَا الْوَاسِعُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ؛ (رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ)[الْأَنْعَامِ: 147].

❍وأعظم رحمة الله بهذه الأمة، حيث أنزل عليهم أحسن كتبه، وأرسل إليهم أفضل رسله، وشرع لهم أفضل شرائع دينه، وجعلهم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

لقد كان رسول الله -ﷺ- كثيراً ما يحدّث أصحابه عن سعة علم الله وقدرته وسعة رحمته، وعن مظاهرها التي تتجلى في هذا الكون الفسيح؛ وذلك حتى يهذّب نفوسهم ويزكيها ويدعوهم إلى الأمل والتفاؤل، وحسن الظن بخالقهم –سبحانه وتعالى-، وحتى يحسنوا العمل ويتراحموا فيما بينهم.

وكان عليه الصلاة والسلام يغتنم الأحداث والمواقف ليذكرهم بها، قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ -ﷺ-: أَتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِن هذِه بِوَلَدِهَا "(صحيح البخاري).

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ-: "جعل اللهُ الرحمةَ مائةَ جُزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرضِ جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزءِ تتراحمُ الخلقُ حتى ترفعَ الفرُس حافرَها عن ولدِها خشيةَ أن تُصيبَه "(البخاري).

ومن رحمة الله أن تحس وتشعر بنسائمها، فرحمته واسعة، وهي تضمك وتغمرك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة، فرحمة الله لا تعز على طالبها في أي مكان، وفي أي زمان، وعلى أي حال، فقد وجدها إبراهيم -ﷺ- في النار (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [الأنبياء: 69]، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت، ووجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة، ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون... ووجدها أصحاب الكهف في الكهف، حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها محمد -صلى الله عليه وسلم- في الغار، وفي طريق الهجرة، وفي بدر، وفي فتح مكة، وفي جميع أحواله -ﷺ-، ووجدها ويجدها كل من آوى إليها، يائساً من كل ما سواها، منقطعاً عن كل شبهة في قوة، وعن كل مظنة في رحمة، قاصداً رحمة الله وحده دون جميع الأبواب، وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه، فهو الذي يملكها وحده: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا) [فاطر: 2].

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى وَالمَفْزَعُ

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ (كُنْ) ... امْنُنْ فَإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ

مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... فَبِالإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ

مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ

وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ

حَاشَا لِفَضْلِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا ... الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي دِينِهِمْ، وَرَفَعَ الضِّيقَ وَالْحَرَجَ عَنْهُمْ؛ فَخَفَّفَ عَنِ الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ وَالْمُسِنِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْذَارِ، فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا)[الْبَقَرَةِ: 233]، وَمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ؛ فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ وَسَّعَ عَلَى عِبَادِهِ فِيهَا: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ)[الزُّمَر: 10].

وَأَوْسَعُ عَطَاءٍ يُعْطِيهِ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خَلْقَهُ هُوَ الصَّبْرُ، صَحَّ عَنْهُ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"(أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ، وَمُسْلِمٌ).

وَالصَّبْرُ دَاخِلٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الْعِبَادَاتِ؛ فَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فَالْحَيَاةُ كُلُّهَا صَبْرٌ إِلَى أَنْ نَلْقَى اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال -سبحانه- في سعة فضله ورزقه:(وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة:247]، وقد ذكر الله اعتراض بني إسرائيل على نبيهم حين قال لهم: (إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ)[البقرة: 247]؛ أي: كيف يكون له الملك وليس من سبط النبوة ولا الملك، ونحن أحق بالملك منه، ثم هو ليس من الأغنياء أصحاب الأموال والسعة في الرزق ليفضل علينا، فرد عليهم نبيهم بقوله (قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)؛ أي: أن الله -سبحانه- قد زاده بسطة وسعة في العلم والجسم، وهما خير من الملك والمال، ثم ذكرهم بأنه مختار من قبل الله -سبحانه- و(اللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

وسبحانه وبحمده، امتد رزقه فضلاً عن العقلاء، فرزق الطير في أوكارها، والسباع في جحورها، والحيتان في قاع بحارها، وشمل رزقه الدواب بأنواعها، والله -تعالى- هو الغني الواسع والرزاق الوهاب الحكيم في شرعه وقدره يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فسعة الرزق وضيقه فضل من الله أو امتحان لبعض عباده، ولربما كان استدراجًا وعذابًا لآخرين.

ومن لطائف ما ذُكر في تفسير ابن كثير -رحمه الله-: "أن الغراب إذا فقس عن فراخه البَيْض خرجوا وهم بِيضٌ، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أيامًا، حتى يسودّ الريش، فيظل الفرخ فاتحًا فاه يتفقد أبويه، فيقيّض الله -تعالى- طيورًا صغارًا كالبرغش فيغشاه، فيتقوت به تلك الأيام حتى يسودّ ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفروا عنه، حتى إذا رأوه قد اسودّ ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق" [ابن كثير].

أرأيتم كيف يتولى واسع الرزق الضعفاء حين يتخلى عنهم أقرب الأقرباء الرحماء؟! إنها منتهى الرحمة من الله وكمال الربوبية.

ويذكر أحدهم: أنه كان لديه هرٌّ يهتم به، وبطعامه، وكان يعطيه كل يوم ما يكفيه من الطعام، ولاحظ رب البيت أن الهر لم يَعُد يكتفي بالقليل مما يقدّم له من الطعام، فأصبح يسرق غير ما يُعطى له، فرصده صاحبه وجعل يراقبه، فوجده يذهب بالطعام إلى هرٍّ أعمى، فيضع الطعام أمامه ليأكله، فتبارك الله: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)[هود:6].

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا *** ارْحَمْ عِبَادًا أَكُفَّ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا

عَوَّدْتَهُمَ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ *** سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا

فلننظر في هذا الكون الشاسع ولنتأمل بديع خلقه، وما أودعه الله من أرزاق وأقوات تَسَعُ خلقه جميعًا، وهي تدل على عظيم إحسانه وجميل مننه وعطائه، ساعتها سندرك أنه وحده هو الجدير بالالتجاء إليه، والفرار من كل شيء إلا منه؛ قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: 47 - 50]، فإذا كانت السماء بهذا الاتساع،

وقد بنيناها بقوة غالبة وقدرة كاملة، وزيناها بالنجوم، والأرض فرشناها ومهدناها، وجعلنا فيها من سبل العيش ما يكفل لكل مخلوق أن يعيش في راحة وسَعَةٍ، فلا مناص من الفرار والرجوع إلى خالق الكون ومدبر الأمر، الذي وسِعَ كرسيه السماوات والأرض، وأحاط بكل شيء علمًا وقدرة، فإذا كان الأمر على هذا النحو، فلتهربوا إلى الله الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة؛ كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه.

وتتجلى من خلال اسم الله الواسع وتدبر معناه آثار إيمانية في حياة الفرد، وتنعكس على إيمانه وعقيدته ومعاملاته وسلوكه ومن ذلك:

أنّ سعته -سبحانه- ليست كسعة خلقه؛ الذين يعتريهم الذهول والغفلة عن ممتلكاتهم، وأما الله -تعالى- فهو مع سعة ملكه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء؛ فيزيد اتصال المؤمن بربه ويلجأ إليه ويسأله من فضله، وإن تأخر عليه فذلك لحكمة وعند العبد يقين بأن الله لن ينساه، وأن خزائن جوده لا تنفد رغم كثرة الخلق وحاجاتهم، فيطمئن ويحسن الظن بربه.

وفي الحديث القدسي قال الله: "يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ"(مسلم)؛ والمقصود منه تحقيق عدم النقص وتأكيده، فكما أن المخيط إذا أدخل البحر ثم أخرج منه لم ينقص من ماء البحر شيئا، فكذلك: لو أعطى الله كل واحد من الجن والإنس مسألته لم ينقص ذلك مما عنده شيئا.

ومنها: لا ينبغي للمؤمن أن يُضيّق على العباد رحمة الله ومغفرته التي وسعت كل شيء؛ لأنّه لا يعلم بِمَ سيُختم لهم، والله عليم بذلك، وإلاّ وقع في شرّ التألّي عليه -سبحانه- روى مسلم عَنْ جُنْدَبٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- حَدَّثَ: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ! وَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ".

ومنها: أن يُعَظِّم ربَّه في قلبه وفي كل تصرفاته، فلا يتصرف تصرفًا لا يليق بذاته، فمن علم أنه تعالى هو الواسع رحمة وعلمًا وقدرة، جمع بين الخشية والرجاء، فكان بالخوف والرجاء في عموم أوقاته وأحواله، فقد بيَّن الله ذلك في كثير من آياته؛ فرحمته وسعت كل شيء وهو شديد العقاب.

ومنها: أن يكون كريماً طيب النفس، فما دام الله يعطي العبد ويوسع عليه ويحسن إليه، فعلى العبد أن يوسع على العباد، وأن يعطيَهم على قدر كرم الله تعالى له، وقد كان رسول الله -ﷺ- أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ولم يكن عطاؤه مالًا أو طعامًا أو لباسًا فحسب، ولكنه كان دائم البِشْرِ والحفاوة بمن يقدُم عليه، وكان لا يضيق بضيوفه، بل يلقاهم ويستمع إليهم، حتى لو أطالوا ومكثوا عنده وقتًا طويلًا، صلوات ربي وسلامه عليه.

ومنها: أنّ الله إذا وعد العبد شيئا من الأجور والثواب؛ كمضاعفته أجور الطاعات والعبادات والقربات من صلاة وصيام وذكر وقراء للقرآن وجهاد في سبيله، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، والصدقة والانفاق، ومحاسن الاخلاق وغير ذلك، فينبغي له أن لا يستبعد ذلك، فالله هو الواسع -سبحانه-.

✉وأما عن سعة رحمته وفضله بعباده في الآخرة فلا يعلم قدره إلا الله، وقد سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ} [السجدة: 17] الآيَةَ. (رواه مسلم).

يَا اللَّهُ.. يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ هَبْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا فَوْقَ مَسْأَلَتِهِ؛ فَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المراجع:

❶الواسع -جل جلاله-: د عبد الله بن مشبب القحطاني.

❷اسم الله الواسع: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❸ تأملات في اسمه تعالى الواسع: أ.د. وجيه يعقوب السيد.